https://majs.journals.ekb.eg
2023; June (11):29:39.
Doi: 8.24394 /JAH.2023MJAS-2303-1135
ISSN: 2735-430X (Print); ISSN: 2735-4318 (Online)

الهوية الجماعيـة وأثرها على العمارة الداخليـة ثقافياً وعمرانياً (قرية شالي نموذجاً)

Collective Identity and Its Urban and Cultural Impact on Interior Architecture (Shali village as a model)

بسمـه نبيـل احمـد حسـن[1]، وفـاء عمـر مسلـــــــم[2]، محمـد صـابرعبدالحميـــد[3]

مدرس مساعد[1]، أستاذ العمارة الداخلية[2]، أستاذ مساعد العمارة الداخلية[3] – قسم الديكور، كلية الفنون الجميلة – جامعة المنيا.

Email address: basma.ahmed@mu.edu.eg

To cite this article:
Basma Nabil, Journal of Arts & Humanities.
Vol. 11, 2023, pp.29 -39. Doi: 8.24394/ JAH.2023MJAS-2303-1135
Received: 20, 03, 2023; **Accepted**: 04, 05, 2023**; published**: June 2023

الملخص:

استدل البحث الى تمتع مصر بالعديد من الهويات الجماعية ذات الخصائص الثقافية والحضارية والاجتماعية الخاصة والمميزة بها؛ والتي ظهرت تعبيراً عن الوعي بهوية الفرد الفردية وفهم مجتمعه وانتمائه لهويته الوطنية الكبرى. والتي يمكن تصنيفها الى هويـة ذات طـابع قَبَـلي نراها في الوجة القبلي وصعيد مصر، وهوية تعتمد على النشـاط نراها في منطقة خان الخليلي في القاهرة، وهويـة ذات طـابع ديـني يمكن ملاحظتها عبر المكانة الخاصة للازهر الشريف في وعي ووجدان كل مصري، وهويـة تعتمد على الحرفـة كالتي نراها في قرية تونس بالفيوم؛ ويتسع المجال للمزيد من الدراسة والبحث عن أنواع أخرى للهوية الجماعية في مصر. وقد أدى تنوع الهوية الجماعية في مصر الى خصوصية عمرانية فريدة؛ كان لها أثر كبير في تكوين هويات عمرانية مميزة سواءاً كانت موجهة أو غير موجهة (تلقائية)، والفرق بينهما هو فرق في علاقة الإنسان بالبيئة في كل منهما. فالبيئة العمرانية التلقائية تكون فيها علاقة الإنسان بيئته علاقة مباشرة؛ أما في البيئة العمرانية الموجهة فتنقطع فيها تلك العلاقة نتيجة لتد خل أطراف عديدة ومؤسسات وسياسات الدولة. ليتخذ البحث قرية شالي بواحة سيوة نموذجاً لهوية جماعية ذات طابع قبَلي كونت هوية عمرانية تلقائية في مصر.

الكلمات الدالة:

الهويـة الجماعية - الهوية العمرانية – قرية شالي - أدرير أميلال.

المقدمة:

•حدود البحث:

زمانيـة/ تتمثل في مراحل تكوين هوية المدن المصرية عبر العصور.

مكانيـة/ داخل مصر، فيما يشمل النماذج التي تم رصدها خلال الدراسة.

•منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يعمل على تجميع الحقائق والنظريات والمعلومات عن وعوامل تكوين الهويات الجماعية في مصر.

•مشكلة البحث:

- بالرغم من تمتع مصر وثراء حضارتها بالعديد من الهويات الجماعية في جميع أرجائها؛ إلا انه لم يتم استغلالها في تخصص العمارة الداخلية، وذلك نتيجة لتداخل تلك الهويات؛ وعِظم تأثير هجمات تيارات العولمة والتغريب المستمرة في القرن الواحد والعشرين.

•أهـداف البحث:

- إبراز دور مصمم العمارة الداخلية في إستخلاص العناصر البصرية المميزة للهويات الجماعية في مصر؛ والتعبيرعنها وتوظيفها في تصميم الحيزات الداخلية لتعزيز الهوية المميزة لها.

- دعم استراتيجية التنمية المستدامة: رؤية مصر 2030 في قطاع السياحة؛ من خلال الترويج للأنماط السياحية المختلفة في مصر. وتشجيع زيارة المدن المصرية للتعرف على الهويات الجماعية المتعددة للنسيج المصري والتي تمثل ثروة قومية بذاتها.

•أهميــة البحث:

- أهمية علمية: يساهم البحث في إغناء ثقافة الإدراك الفكري عبر المشاهد البصرية التي يجري توظيفها لإبراز وتعزيز الهوية المميزة للمدن المصرية؛ مما يدعم عملية التطور الثقافي والحضاري والتكنولوجي للمجتمع عبر تخصص العمارة الداخلية.

-أهمية عملية: يدعم الاحساس بالإنتماء والفخر لدى المصريين؛ كما يسهم في الترويج السياحي للمدن المصرية عبر خلق شعور بالفضول والرغبة في التعرف بشكل أكبر على الهوية الجماعية للمدن المصرية لدى الزوار الأجانب؛ من خلال محددات العمارة الداخلية المختلفة.

•فرضيات البحث:

- تعد مصر ذات خصوصية لما فيها من تعدد للهويات الجماعية داخل الأمة الواحدة، نستطيع أن نستلهم من خلالها تصميمات ذات طابع مميز في الحيزات الداخلية.

- يعد تنوع الهويّات الجماعية في مصرعامل جذب يمكن أستغلاله في الترويج للمدن المصرية.

• مصطلحات البحث:

-**الهويــة الجماعية:** قدرة الشخص على معرفة مكان ما نتيجة لتفرده -أو تفرد أهله- عن غيره بصفات وخصائص مميزة.

-**الهوية العمرانية:** تفرد مكان ما بصفات وخصائص عمرانية معينة تعكس تميز ذلك المكان، وتميز مجتمع معين بسمات عمرانية لها شكل وتكوين وذاتية ومواد بناء نابعة من ثقافة هذا المجتمع.

-**المديـــــنة:** مكان يعيش فيه الناس ويعملون ويمارسون هواياتهم؛ وأجتماعياً فهي المكان الذي يحتوي على تجمعات هائلة من السكان، لتعمل على إشعاع الأفكار والممارسات التي تنتمي إلى إسلوب ونمط الحياة الحادثة داخلها.

-**الثقافة:** سائر الخصائص والمميّزات والمكونات الفكرية والاجتماعية والتاريخية التي تنفرد بها ثقافة ما اوتمتلكها جماعة بشرية ما، والتي تتميز عن غيرها من الثقافات الاخرى.

- تمهيــد

إن الانسان مصري لم يكن يوماً مشوشاً فيما يخص ملامح هويته قديماً، وكان خير من عبر عنها في الفنون المختلفة ولا سيما العمارة التي رصدت كيف يُعنى المصري بالمحافظة على هويته عن طريق تطويعها لتتناسب مع المعطيات المتجددة دوماً ضمن مراحل التطور المختلفة والعصور المتباينة التي مرت عليه. فلم يطمس الإنسان المصري هويته ولم يستبدلها وكانت هي الأصل الذي صاغه بما يلائم ما يتأثر به من حديث وما يطرأ على ثقافته من وارد يتبناه ليفرز لنا منتجاً مصرياً في ثوب يناسب عصره، ولفظ كل ما لا يعبر عنه أو يمثله بمرور الزمن وإن كان بديعاً، نتيجةً لحساسيته تجاه كل ما هو مفتعل بفعل ظروف سياسية لأنظمة حكم مختلفة توالت عليه، فلم يعلق بذاكرته إلا كل ما شعر أنه يشبه ملامحه فكانت هويته معروفة وواضحة صاغها بأشكال مختلفة تعبيراً عن تفاعلها الإنساني والحضاري في كل زمان حتى الأمس القريب.

1- الهويات الجماعية وتأثيرها ثقافياً وعمرانياً داخل مصــر:

علي الرغم من كل الظروف والاحداث التاريخية التي مرت بها مصر إلا أن ذلك لم تكن عائقاً امام ظهور العديد من الهويات الجماعية داخلها ؛ حيث تعد مصر ذات خصوصية لما فيها من تعدد للهويات الجماعية داخل الأمة الواحدة، ولكل هوية منهم خصوصية معينة تميزها عن الاخرى؛ تكوّنت في نسيج متداخل على مدار سنين طويلة وبفعل العديد من الظروف والعوامل التاريخية والسياسية والثقافية والاجتماعية وتعاقب الحضارات والأديان، والموقع الجغرافي المميز والمتوسط بين قارات العالم، بالإضافة الى مرور نهر النيل في أرضها؛ وقد تطورت تلك الهويات الجماعية حتى يومنا هذا؛ "وتقوى هذه الهويات قوية أو تضعف بالقدر نفسه الذي تكون به قوية أو ضعيفة في وعي وشعور أفراد المجموعة؛ وبالقدر نفسه الذي تحرك وتدفع به تفكيرهم وتصرفهم" .

ولقد عبر جمال حمدان* في مؤلفه القيم "شخصية مصر- دراسة في عبقرية المكان" وبأسلوبه الفذ عن ذلك قائلاً: إن مصر قد جمعت في آنٍ واحد بين قلب أفريقيا وقلب العالم القديم، وأن السبق الحضاري ملمح أساسي بلا نقاش في شخصيتها؛ فمصر إن تكن أفريقية بأرضها ومائها، إلا أنها قوقازية أوروبية بجنسها ودمائها، والمصريون بهذا المعنى أنصاف أو أشباه أوروبيين؛ فهي إذاً قطعة من أفريقيا غير أنها الى ذلك أسيوية التوجه والتاريخ والتأثير والمصير، فهي بآسيا وإليها. وفي المحصلة

الصافية فإن مصر نصف أوروبية وثلث أسيوية وسدس أفريقية؛ لتبدأ أوروبا في داخلها عن الإسكندرية وآسيا عند القاهرة وأفريقيا عند أسوان. وعلى تعدد جوانب الشخصية المصرية إلا أنه قد حدد لها أبعادا أربعة فى توجهها وهي: البعد الآسيوي والأفريقي على مستوى القارات والبعد النيلي والمتوسطي على المستوى الإقليمى.

فيما رأي ميلاد حنا* أن "الشخصية المصرية تقف على سبعة أعمدة أساسية، أربعة منهم أرتبطوا بحضارات تاريخية وهم: العامود الفرعوني الذي أعتبره الركيزة الأساسية التي يقف عليها أي مصري؛ والعامود اليوناني-الروماني الذي يمثل مرحلة إنتقالية هامة؛ ليأتي بعدهم العامود القبطي ثم العامود الإسلامي؛ وهي الأعمدة التي كان لها دور أساسي في تغيير العناصر اللامادية للهوية الأكثر ثباتاً واستقراً كالعقيدة والدين واللغة والموروث الحضاري، لتنطوي على مرحلة من استمرارية التواصل بين النتاج العمراني والعمارة الداخلية وبين الهوية المصرية؛ وهو ما أدى الى تضخم المستوى الوطني للهوية ويصبح هو المعبر الأوحد انتماء الأفراد.

ذلك بالإضافة الى العامود العربي والعامود البحر أوسطي والعامود الأفريقي وهم الأعمدة الثلاث الذين نتجوا بحكم الأنتماء للمكان؛ والتي كانوا الأقل تأثيراً، مما أدى الى حدوث انقطاع للتواصل بين العمارة والهوية الوطنية ولو بشكل جزئي نظراً لارتباطها بالعناصر المادية للهوية؛ وهو ما سمح بظهور عدد من الهويات الجماعية ذات الخصوصية المعمارية المتفردة بشكل تلقائي في انحاء القطب المصري.

لتتداخل الأعمدة الحضارية مع الاعمدة الجغرافية مكونةً شخصية فريدة غنية بالانتماءات التي تراكمت عبر الزمان وبتأثير المكان عبر رقائق من الحضارات المختلفة التي مرت على مصر تاركةً آثارها على الهوية المصرية بدرجات متفاوتة."

ولقد رأي كيفين لينش* Kevin A. Lynch أن "الهوية الجماعية تتلخص في قدرة الشخص على معرفة مكان ما نتيجة لتفرده عن غيره بصفات وخصائص مميزة، كما أن المكان الذي يتميز بنشاط خاص يكون ذو هويّة واضحة جداً؛ لأن مستخدميه يتفاعلون ويشتركون في هذه النشاط. وبهذا تتشكل هويته الخاصة ليس فقط لما للمكان من قدرة على خلق تميز بصري في أذهان الناس مما يمكنهم من التعّرف عليه؛ ولكن أيضاً لقدرته على جعل الناس يتعرفون عليه من خلال مشاركتهم في أنشطته المختلفة" مما سبق يمكننا تصنيف الهويات الجماعية كالتالي..

•1-1- تصنيف الهويـــات الجماعيـة مما سبق يمكننا القول أن الهوية الجماعية قد تكون :

1-1-1 - هويـة ذات طـابع قَبَـلي Based Identity Tribalism:

وغالباً ما تظهر في الجماعات التي ترتبط ببعضها البعض بنظام اجتماعي يسمى (الاسرة الممتدة) * . وتتسم بالحفاظ على القيم الأسرية وتمسكهم بالاعراف والتقاليد الاجتماعية. وتظهر تلك الجماعات في النطاقات البعيدة نسبياً عن العاصمة المركزية للدولة؛ مما قد يستدعي السلطة التشريعية والتنفيذية لتعين ممثلاً عنها في تلك الجماعات يسمى العمدة أو شيخ البلد. وهو ما يظهر لدينا في مناطق الوجة القبلي وقرى صعيد مصر.

شكل1 يوضح مجلس عرفي لأحد القرى المصرية يعقده العمدة بشكل دوري؛ لحل مشاكل القرية تبعاً للقوانين والأعراف المتوافق عليها بين أهلها، والتي تمثل هويتهم الجماعية ذات الطابع القبلي.

1-1-2-هوية معتمدة على الأنشطة Activities Based Identity :

وتظهر في الجماعات التي تعتمد على هوية تشكلت نتيجة للنشاط الذي يزاولونه بشكل مستمر لسنين وعقود مما جعله صفة معبرة عن ماهيتهم وارتباطهم بالمكان المتواجدين فيه.

شكل2 يوضح منطقة خان الخليلي في القاهرة-مصر، الذي اشتهر منذ 600 عام بوجود بازارات ومحلات ومطاعم شعبية، كما يتميز بكثرة أعداد السياح واعتياد سكانه عليهم؛ ليصبح مصدر إلهام للعديد من الكتاب والأدباء المصريين وليحمل قيمة فكرية مضافة بسبب هويته المميزة المعتمدة على النشاط التجاري والسياحي بها.

http://www.cairo.gov.eg/en/Tourism/Pages/cultural_text.aspx?ID=1

1-1-3-هوية ذات طابع ديني Religion Based Identity:

وتتكون إما نتيجةً لارتباط البيئة الحضرية ارتباطاً تاريخيا بحضارة دينية معينة؛ أو من خلال توافق جماعة ما بشكل ضمني على توجه ديني محدد، تتوافق عليه الجماعة ويتماشى مع معتقداتهم الدينية.

شكل3 يوضح الجامع الازهر الشريف بالقاهرة- مصر وما له من مكانة خاصة في وعي ووجدان كل مصري تنمو وتتزايد منذ انشائه في القرن الاول الميلادي وحتى يومنا هذا، بما يمثله من قِبلة العلم لكل المسلمين ومنهل الوسطية ومنارة الإسلام الشامخة لحفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية الى كل الشعوب. ليشكل بوصلة للهوية الجماعية ذات الطابع الديني للانسان المصري

https://ar.wikipedia.org/wiki/الجامع_الأزهر

1-1-4- هوية تعتمد على الحرفة Craft Based Identity:

وتظهر عندما تعتمد جماعة ما على حرفة معينة، يبدعون في ممارستها ويتوارثونها جيلاً بعد جيل. لتصبح تلك الحرفة هي السمة المميزة للمكان. ومخرجاتها هو النتاج الثقافي الذي تقدمه تلك الجماعة من صناعتها التراثية ومنتجات بيئتها المحلية.

ولعل من أبرز الامثلة على ذلك هي قرية تونس بالفيوم-مصر. والتي تحولت الى قرية سياحية وقبلة للسياح العرب والأجانب بعد ان زارتها الخزافة السويسرية إيفيلين بوري، ثم تقرر أن تبنى بها مدرسة لتعليم صناعة الخزف والفخار؛ ليتخرّج الجيل الأول من المدرسة ويفتتح كل منهم ورشته الخاصة به، يليهم الجيل الثاني. حتى تحولت القرية إلى معرض فني لورش صناعة الخزف والفخار التي تمتد منذ بداية القرية حتى نهايتها. مما خلق هوية جماعية لاهلها اعتمدت على حرفة صناعة الخزف ومنتجاته.

شكل4 يوضح مدرسة الفخار بقرية تونس؛ والزوار بمهرجان الفخار والخزف الذي تستضيفه القرية بشكل سنوي. لتصبح صناعة الفخار عن السمة المكونة للفكر والثقافة الشعبية لاهل القرية.

https://www.cairo24.com/1488256

1-2- تصنيف الهويـــات العمرانية:

إن الهوية العمرانية لجماعة ما تعني التفرد بصفات وخصائص معينة تعكس تفرد ذلك العمران، وتميز مجتمع معين بسمات عمرانية لها شكل وتكوين وذاتية ومواد بناء نابعة من ثقافة هذا المجتمع. "فالهوية المعمارية هي ترجمة للهوية الثقافية للمجتمع في سياق تفاعلها الإنساني والحضاري عبر الأزمنة المختلفة، فما تتضمنه الهوية المعمارية لجماعة ما ماهو إلا تعبيرعن الوعي بالهوية الثقافية وفهم ذلك المجتمع وانتمائه لهويته الوطنية."

"ولا يشترط في العوامل المؤثرة في تحديد الهوية العمرانية ان تتشابه في كافة انحاء المدينة، ولكن يكفي ان تتواجد في مواقع مميزة أو ان تتواجد بدرجة تكفي لإعطاء الهوية المتفردة؛ ويعتر وجود هوية عمرانية مميزة للمدينة من ضمن أسباب بروز شخصيتها معنوياً ومادياً، فالمدينة التي تفتقر الى الطابع المميز هي مدينة عديمة الشخصية." وهو ما يحتم وجود هوية بصرية لاي هوية معمارية مميزة؛ وهي التي تتضح من خلال قدرة الأشخاص على التعرف على مكان أو مبنى مميز عن غيره في الشكل أو الطراز المعماري، لما تضفيه من قيمة وطابع مختلف للمكان.

مما سبق يمكننا تصنيف الهوية العمرانية كالتالي..

مخطط (1) يوضح تصنيف الهوية العمرانية -المصدر: الباحثة.

يمكننا تصنيف الهوية العمرانية إلى هوية موجهة وهوية غير موجهة (تلقائية). والفرق بينهما هو فرق في علاقة الإنسان بالبيئة في كل منهما. "فالبيئة العمرانية التقليدية تكون فيها علاقة الإنسان ببيئته علاقة مباشرة، حيث يتعامل معها بدون وسيط وبتلقائية ويوفي من خلالها متطلباته التي يحتاج إليها، أما في البيئة العمرانية المخططة فتنقطع فيها تلك العلاقة نتيجة لتد خل أطراف عديدة ومؤسسات وسياسات الدولة، وبالتالي يأتي النتاج العمراني من وجهة النظر الرسمية وليس الشعبية، وبالتالي تنتفي التلقائية ويحل محلها التخطيط المسبق الذي يكون على أساس السياسات والتوجيهات الرسمية للدولة في المقام الأول" .

1-2-1- هوية موجهـــة:

وهي الهوية التي تصاغ و تصمم عن قصد وإرادة مسبقة علي المستوي المؤسساتي\الرسمي

شكل 5- يوضح حي الكوربة بمصر الجديدة-القاهرة مصر، والذي يتميز بطراز معماري بلجيكي وزخارف تمزج بين الطراز الشرقي والغربي، حيث تعاونت الحكومة المصرية مع المهندس البلجيكي البارون إدوارد أمبان عام 1905 لإنشاء ضاحية جديدة لتنشيط التنمية المحلية لجذب السكان من أنحاء القاهرة. ليصبح الحي وميدانه المثلث الشكل أحد أبرز ملامح منطقة مصر الجديدة . مما شكل هوية بصرية مميزة في قلب مصر الجديدة .
http://www.cairo.gov.eg/ar/Bank%20of%20Ideas/Pages/ashhur-mayadin-alqahr-text.aspx?ID=14

"وفي بعض الأحيان ترتبط هذه الهوية بتوجهات النظام الحاكم في صياغة صورة بصرية للمدن تعبر عن توجه فكري أو سياسي؛ وقد تنجح هذه الصورة البصرية في تحقيق الإنطباعات القوية في ذهن المتلقي وإيصال المعني المطلوب؛ والهوية الموجهة قد تحقق الملائمة والرضا بالنسبة لمستخدميها بنسب متفاوته."

شكل 6- يوضح منطقة برج خليفة بإماراة دبي-الامارات العربية المتحدة؛ والتي تعطي وانطباع ذهني قوي وتعبر عن الصورة التي ترغب الامارات العربية المتحدة في نقلها إلي العالم الخارجي _ العلم والتكنولوجيا والتفوق _ ولكن ربما كانت لا تحقق الملائمة النفسية لدي المستعملين انفسهم.
Google search for المصدر: دبي منطقة برج خليفة

شكل7 يوضح قاهرة المعز بالقاهرة-مصر؛ وهي منطقة تاريخية تحوي أكبر التجمعات وأكثرها كثافة من العمارة الاسلامية مثل المساجد والمقابر والمدارس والقصور والحمامات والنوافير والاسبلة والحصون العسكرية. لتكوّن بذلك هوية عمرانية موجهة نتيجة لوضعها كعاصمة للخلافة الاسلامية للدولة الفاطمية لتظهر كمقر إقامة ومركز قوة للخلفاء الفاطميين في فترة زمنية سابقة. https://ghadnews.net/ar/post/16235

1-2-2- هوية غير موجهة / تلقائية:

ونراها بوضوح في البيئات العمرانية التقليدية؛ "وهي لا تأتي عن تخطيط مسبق، بل تجسدها الجماعة في إطار تفاعلها المباشر مع المكان لتلبية احتياجتها دون تدخل أي جهات رسمية. ولقد أظهرت العديد من الدراسات مدي نجاح هذا النمط من العمران في تلبية الحاجات المادية واللامادية للجماعة بالإ ضافة إلي ما يتميز به من لغة تشكيل معماري نابعة من لا وعي ومخيلة الجماعة؛ فتحقق كل من الصورة البصرية المتميزة بالإضافة إلي الملائمة مع المكان وثقافة الجماعة."

شكل8 يوضح قرية القصر بالواحات الداخلة بالوادي الجديد-مصر؛ ويظهر عمران المدينة التلقائي المميز حيث تجمع ما بين التراث المعماري الأيوبي والمملوكي والعثماني المبني فوق أطلال المدينة الفرعونية "كنمت"، كونها شكلت فيما بعد نقطة التقاء لطرق المواصلات القديمة للقوافل التجارية والحجاج من المغرب العربي الى الحجاز من العام 50هـ.

https://www.annaharar.com/arabic/lifestyle/travel/0702 2021084721519

شكل 9 يوضح البيوت النوبية بأسوان-مصر بمعمارها المميز وألوانها البراقة التي اصبحت عمل فني على ضفاف النيل معبرةً عن الثقافة النوبية ليصبح غرب سهيل علامة بارزة ضمن المقاصد السياحية فى جنوب مصر، ومزاراً للسياحة البيئية من خلال إبراز العادات والتقاليد النوبية فى جميع أرجاء القرية. لتعبر عن الهوية العمرانية التلقائية لقرى النوبة.

/https://holidaytours.one/best-hotels-in-egypt-2021

وبذلك يتضح لنا ان المدينة كتشكيل معماري هي ظاهرة انسانية تتشكل صورتها لتعكس طريقة وطبيعة الفكر المتفاعل معها، "لذا فإن التفاعل الدائم مع صورة مدينة ما سيؤدي بطبيعة الحال الى التطبع بمفدرات هذا الفكرالمكون لتلك الصورة؛ ومع تقادم الزمن سيساعد ذلك في ترسيخ طبيعة تلك الأصول الفكرية، فتبني فكر يرتبط بأصول حضارتنا ويتمثل مجتمعنا وبيئتنا الفكرية والأحتماعية والثقافية سينتج صورة بارزة لمدينة ذات هوية محددة دون آثار فكرية اخرى دخيلة."

وبالرغم من ان المدن تعد نسيج حضاري أكثر تعقيداً من المنتجات والخدمات التجارية؛ إلا انها في حال كان لها هويتها الفريدة وخصائصها الثقافية والحضارية والاجتماعية الخاصة؛ فيمكننا حينئذٍ تسويقها بنفس مباديء التسويق التجاري ففي وقتنا المعاصر تعمل العديد من المدن على إعادة تشكيل صورتها وتعزيز قدرتها التنافسية وتحسين مواردها الاقتصادية بحيث تكون صورة المدينة مرتبطة بنشاط ما، مثل مدينة الموضة أو مدينة الثقافة أو مدينة الرياضة إلخ.." حيث تقوم الدول بالتسويق لها ولمدنها وثقافتها وتنوع مجتمعاتها وتراثها وأعمالها لاكتساب شهرة على الخريطة العالمية. وهو ما يساهم في التعريف والتسويق للهوية الوطنية للدول بشكل كبير؛ حيث تعد صورة الهوية الجماعية لمدينة ما داخل الدولة إسقاطًا للمجتمع ومعبراً بشكل غير مباشرعن العناصرالرئيسية لهويته الوطنية.

فبينما تحاول البلاد والمدن حول العالم تشكيل هوية مميزة بطريقة موجهة، وفرض تلك الهوية عالمياً بإستخدام وسائل الدعاية والإعلان بشكل مكثف؛ نجد أن مصر بما تملكه من هوية عريقة راسخة عبر الآف السنين، بالاضافة الى احتواء المدن المصرية على العديد من الهويات الجماعية الفريدة والتي تكونت بمرور السنين؛ بما يمثل قيمة مضافة للمدينة وميزة تنافسية تساعد على تعريفها عالمياً وتعود بالنفع على المجتمع المحلي للمدينة. إلا انها مازالت تفتقد الفرصة لابرازها بالشكل الملائم والايجابي لتحتل مكانتها التي تستحق بين مدن العالم.

2- الهويات الجماعية داخـل المـدن المصريـــة:

يمكننا التعرف على أهم الهويات الجماعية التي ظهرت في مصر تبعاً للعوامل المؤثرة في تكوين الهوية والتي بتفاعلها مع التشكيل المعماري تظهر لنا جماعات ذات خصوصية عمرانية متفردة، والتي من أبرزها:

•2-1- قرية "شالي" بواحة سيـــوة - الصحراء الغربية (هوية جماعية ذات طابع قبَلي/عمرانية تلقائية)

وتعد قرية شالي نموذج لتكوين هوية جماعية مميزة فيما يتعلق بالعامود الأفريقي للشخصية المصرية في تداخل مع العامود العربي بشكل مركب.

"شالي" باللغة السيوية تعنى المدينة، والتي يرجع تاريخها لأكثر من 800 عام، حيث تأسست القرية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي؛ وقد كان الهدف من بنائها رد هجوم العرب والقبائل المتنقلة في الصحراء والقادمة من ليبا في الغرب.

2-3-2-1- المقومـات الطبيعيـــة للقرية:

تتوسط شالي واحة سيوة "التي تقع على بعد حوالي 300 كم عن ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب الغربي من مرسى مطروح بمصرعلى بعد 50 كم شرق الحدود الليبية؛ لتمتد واحة سيوة بطول 80 كم تقريباً وعرض 20 كم. وعلى الرغم من وقوع

سيوة في أقصى شمال مصر، إلا أن طقسها يتسم بالقارية الصارخة، فالصيف فيها شديد الحرارة كثير الرطوبة وشتاؤها شديد البرودة لا يتحمله الا القليلون".

وتعتبر سيوة من أكثر المدن النائية في مصر؛ يسكنها حوالي 33.000 ألف شخص معظمهم من الأمازيغ* الذين يشكلون 11 قبيلة لكل قبيلة شيخ وعوائل وأفراد؛ ينتشر في أرجائها 6 آبار مياة عميقة تستخدم لأغراض الري والشرب وتعبئة المياه الطبيعية والعلاج." وقد كان لجغرافيتها النائية دور كبير في تطور الهوية الجماعية الخاصة لها.

شكل10 الموقع العام لواحة سيوة وبيوتها القديمة وتتوسطها شالي بموقعها الفريد وسط الصحراء الغربية لمصر

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D9%88%D8%A9

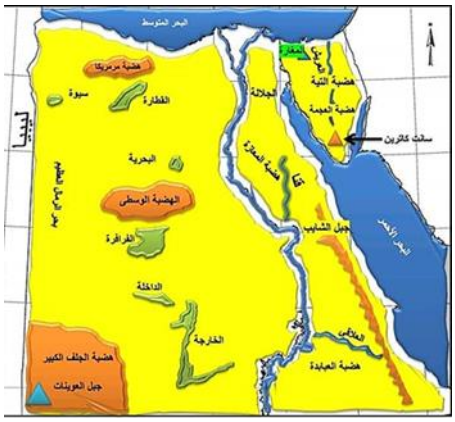

شكل11 يوضح موقع واحة سيوة في أقصى الشمال الشرقي لمصر، وهو ما فرض عليها طبيعة جغرافية خاصة وعزلة كان لها تأثير كبير في صياغة هوية متفردة لها.

https://www.marefa.org/%D9%85%D9%84%D9%81:Qattara_depression_map.png.

2-6-2- المقومـات الانسانيـة للقريـة:

"تمسكت "شالي" بعاداتها وتقاليدها الموروثة عبر الزمن ليطوروا ثقافة صحراوية متميزة ولغة فريدة مختلفة عن اللغات الأخرى في مصر تسمى اللغة السيوية، والتى كانت اللغة السائدة حتى دخلها العرب في القرن السابع الميلادى ومن ثم استولت الجيوش الفاطمية على الواحة عام 969م، ليتحدث اليوم اهل سيوة اللهجة المصرية بطلاقة الى جانب السيوية." أما على الجانب السياسي فقد كانت لهم سياستهم الخاصة المستمدة من عاداتهم وتقاليدهم، إلى أن جاء محمد علي في العصر الحديث، وأرسل حملة عسكرية لفرض النفوذ المصري وأخضعها إليه.

-2-6-2-3- الخصوصية العمرانية لقرية "شالي":

إن المقومات الطبيعية والانسانية المختلفة لقرية "شالي" كان له الدور الأكبر في تكوين الهوية الجماعية المميزة لها؛ وهو ما انعكس على الهوية العمرانية أيضاً؛ كما يتضـح في الآتـي:

تخطيـــط القريـــة:

تتكون سيوة من الواحة الأم "شالي" وبعض القرى الصغيرة على جوانبها؛ "وقد عرفت واحة سيوة قديما بأرض النخيل لتصبح هدفاً للغزاة على مر العصور؛لكنها نجحت في توفير الحماية لنفسها بفضل طبيعتها الجبلية، فكانت هضابها الرابضة كالقلاع وسيلتها الدفاعية الأولى؛"لذا قام السيويون منذ أن سكنوا مدينة "شالي"التي تم تشييدها بشكل متعرج لحمايتها من الغزاة ببناء سور متين البناء حولها وأطلقوا عليها اسم "شالي"، وليس لهذا السور غير مدخل واحد يسمي "باب إنشال" بمعني باب المدينة، وبعد مرور قرن من الزمان فُتح باب آخر في الجهة الجنوبية من السور اسموه "باب أثرات" أي الباب الجديد، وفُتح باب ثالث بعد مرور قرن من الزمان سمي باب "قدوحـه" للنساء فقط."

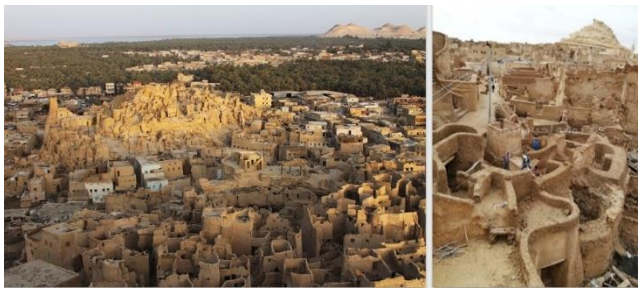

شكل12 يوضح تخطيط قرية شالي ذو الخطوط المتعرجة لحمايتها من الغزاة

https://m.akhbarelyom.com/news/newdetails/3146734/1

السمات المعمارية لقرية "شالي":

تتمتع المدينة بطراز معماري موحد، "حيث بنيت من مادة الكرشيف وهو الطين المشبع بالملح، حتى إذا جف يصبح شبيها بالأسمنت في صلابته وهو أسلوب من البناءيتناسب مع طقس هذه المنطقة حيث يوفر الدفء شتاء والرطوبة صيفاًليعد أحد طرق البناء الفريد من نوعه؛" كما تصنع الأبواب والنوافذ من أخشاب شجر الزيتون والنخيل المتوفر في الواحة.

وفي عام1926م هبطت أمطار غزيرة استمرت ثلاثة أيام متتالية على القريةمما تسبب في انهيار بعض المنازل؛ فترك من بقي من سكان شالي منازلهم القديمة وشيدوا منازل جديدة عند سطح الجبل. وقد انتهت مؤخراً أعمال الترميم وإعادة إنشاء الأجزاء المهدمة من المدينة والتى بدأت في عام2018م بجهود مشتركة من الدولة والاتحاد الأوروبى، ليتم إعلان مدينة شالى القديمة منطقة التراث العالمى في عام 2020م.

شكل13 يوضح طبيعة العمارة في قرية شالي، ويظهر به المنازل المبنية من الكرشيف ذو الملمس المميز؛ كما تظهر منازل "الشرقيين" بالمدينة التي تتكون من طابقين وتزيد إلي عدة طوابق حسب عدد الأفراد يصل في بعض الأحيان إلي ثمانية طوابق ووهو ما أعطي للمدينة ذلك الجمال الفريد.

https://wejhatt.com/?p=33045

شكل14 ويظهر به الطبيعة الجبلية الخشنة للمنازل في شالي؛ وهي الطبيعة التي فرضتها العزلة الشديدة والمناخ القاري للقرية؛ ويتضح بها بعض الأواني والتجهيزات البسيطة للبيوت التقليدية بها.

https://m.akhbarelyom.com/news/newdetails/

وقد أهتمت الدولة بالحفاظ على الطابع المعمارى البيئى والتراثى الفريد للواحةمن خلال قرارات رسمية بالالتزام بالطابع البيئى لقرية شالي من خلال بناء المنازل والمنشآت العامة والخاصة بنفس الطابع المعمارى القديم وخامات البناء التقليدية، والتيمن أهمها مركز الأمومة والطفولة ومتحف الأرض ونماذج للعمارة السيوية؛ بالاضافة الى الفنادق والمنتجعات السياحية بالمكان.

شكل15 يوضح فرع بنك القاهرة في سيوة؛ ويظهر بتصميمه احترام التراث والهوية العمرانية المميزة للواحة والمستمدة من قرية شالي.

https://www.banker.news/2393

- منتجع "أدرير أميلال Adrère Amellal" كمنوذج لاستغلال الهوية الجماعية والعمرانية المميزة في الترويج للأنماط السياحية المختلفة في مصر:

الموقع العـام: أدرير أميلال أو الجبل الأبيض باللغة الأمازيغية* "هو منتجع يقع وسط واحة سيوة التي تبعد حوالي 300 كم عن ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب الغربي من مرسى مطروح بمصر؛ ويشير الاسم إلى جرف الحجر الجيري الضخم الذي يقع تحته الفندق الذي أنشأه عالم البيئة المصري الدكتور منير نعمة الله في عام 1998م عبر ترميم وتوسعة البيوت السيوية القديمة باستخدام الأساليب التقليدية؛ ليصبح الفندق المستوحى من (قرية شالي) المكون من مجموعات من المباني بعضها مربع وبعضها دائري منفصلة أو متجمعة معًا ومتصلة ببعضها بواسطة ممرات وشرفات وسلالم نتوءاً عضوياً لبيئته المحيطة." ليتجلى في تصميمه الموائمة الطبيعية مع ظروف الموقع والبيئة الطبوغرافية والجيولوجية للمكان.

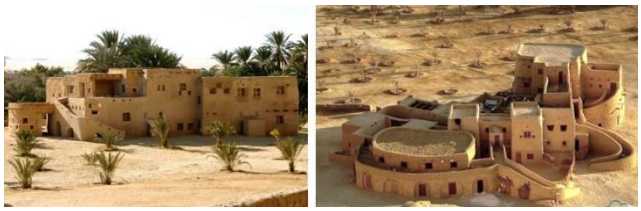

شكل16 يظهر فيه بعض مباني فندق أدرير أميلال Adrère Amellal المربعة والدائرية لمثل نتوءاً عضوياً لبيئته المحيطة.

https://www.designboom.com/architecture/adrere-/amellal-eco-hotel-in-egypt-by-eqi

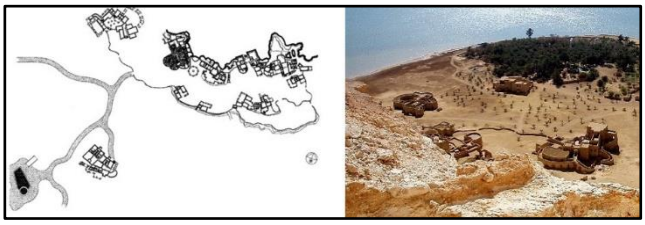

شكل17 يوضح الموقع العام لفندق أدرير أميلال متعدد المباني بتكوينه المتوائم مع البيئة المحيطة، ويظهر موقعه المميز أسفل جرف ضخم بالصحراء الغربية مطلاً البحيرات الطبيعية.

https://www.designboom.com/architecture/adrere-/amellal-eco-hotel-in-egypt-by-eqi

مـواد البنــاء: ويعد أكثر ما يميز الفندق هو الاعتماد الكلي علي البيئة المحيطة به، بل والاكتفاء الذاتي من كل ما تنبته البيئة؛ فقد صُنعت جدرانه بالكامل من الرمال الملحية والتربة السيوية، والتي يطلق عليها اسم "الكيرشاف" وهو عبارة عن ملح المغلف بالطفلة (طين) والتي يستخدمها البناءون المحليون في سيوة منذ آلاف السنين ليثبُت علميا أنها مادة بناء عازل جيد للحرارة؛ ما جعل الفندق واحة باردة وسط زمهرير الصحراء المصرية." لتتضح محاولات الانسجام مع العوامل الطبيعية ومراعاة عامل المناخ في المكان.

شكل18 يوضح الحيزات الداخلية لفندق أدرير أميلال التي صنعت جدرانها من الكيرشاف لتحقيق الراحة الحرارية بها.

Google search for: Adrère Amellal

المعالجات الداخلية: "التي هدفت إلى الحفاظ على وسائل الراحة الأساسية طبيعياً لذا صنعت الأبواب والنوافذ والتركيبات من خشب الزيتون الممزوج بالتراب السيوي وضُبط وضع وحجم جميع الفتحات خصيصًا لالتقاط نسيم الصحراء والقضاء على الحاجة إلى تكييف الهواء، لتمتص الفتحات الحرارة في النهار ثم تعكسها في الليل لتمنح الدفئ؛ أما الأسقف فقد صنعت من أشجار النخيل؛ ويحيط بالمنتجع أسوار صخرية ملحية تستظل بالكثير من أشجار النخيل المجاورة ل 7 بحيرات ملحية وأشجار زيتون على امتداد 25 كم."

شكل19 يظهر به توزيع الفتحات بالحيزات الداخلية بفندق أدرير أميلال التي تم توزيعها بشكل محدد ليعمل كتكييف هواء طبيعي للحد من تأثير العوامل المناخية كالاشعاع الشمسي وارتفاع درجة الحرارة، كما يتضح استخدام أشجار النخيل لتغطية اسقف الفندق كخامة طبيعية من البيئة المحيطة.

/https://www.adrereamellal.com/adrere

الأثــاث والمفروشات: "يحتفي الأثاث الداخلي والخارجي وجميع القطع والإكسسوارات الموجودة في الفندق بالحرفية والموهبة التي يتميز بها سكان سيوة، حيث صُنعت الأسرة من القطن الصافي، أما المفروشات البسيطة فقد صُنعت يدويًا باستخدام التقنيات القديمة. "

شكل20 يظهر به تصميم العمارة الداخلية والاثاث والنسيج القطني بالفندق التي صنعت يدوياً بواسطة السكان المحليين لسيوة .

/ https://www.adrereamellal.com/adrere

عناصر الإضــاءة: "وتعتمد إنارة الفندق على الشموع التي تم توزيعها بنظام دقيق داخل محاريب جدارية منحوتة فالجدران لراحة العين والاستجمام والاسترخاء ليسلط الضوء على تكوينات البناء الحجري والتشطيبات الجصية الطبيعية." وابراز الطابع البنيوي للأرض ذات الطبيعة الكنتورية للبيئة المحيطة واستغلال الجانب الجمالي للمعالم الطبيعية بالمكان.

شكل21 يوضح استخدام الشموع للاضاءة الليلة في فندق أدرير أميلال وتوزيعها خارجيا لابراز تضاريس للبيئة المبنية وتشطيباتها وداخليا بوضعها داخل كوات حائطية لتحدث تأثير من الهدوء والاسترخاء.

.https://www.facebook

com/www.adrereamellal.net/photos

إن النموذج السابق -على سبيل المثال لا الحصر- لقرية شكلت هويات جماعية مميزة ومتداخلة في أنحاء مصر؛ كان نتيجةً لعدة عوامل أجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وجغرافية وبفعل تعاقب الحضارات والأديان؛ قد أدى الى ظهور هويات عمرانية مختلفة ذات خصوصية شديدة، لما لها من مقومات طبيعية وانسانية تفاعلت سوياً لتنتج نسيج حضري متداخل على مدار سنين طويلة من التفاعل الإنساني والحضاري؛ تعبيراً عن الوعي بهوية الفرد الفردية وفهم مجتمعه وانتمائه لهويته الوطنية الكبرى.

نتـــائج الدراســـة:

1-تحتوي المدن المصرية على العديد من الهويات الجماعية الفريدة التي تكونت بمرور السنين؛ بما يمثل قيمة مضافة لها؛ وميزة تنافسية تساعد على تعريفها عالمياً وتعود بالنفع على المجتمع المحلي للمدينة. يمكننا تصنيفها الى:

- هويـة ذات طابع قَبَلي - هوية تعتمد على النشاط.
- هويـة ذات طابع ديني - هويـة تعتمد على الحرفة.

2- لازالت الهويات الجماعية في المدن المصرية تفتقد الفرصة لابرازها بالشكل الملائم والايجابي، لاستغلالها اقتصادياً ولتحتل مكانتها التي تستحق بين مدن العالم.

3-تمتلك مصر هويات عمرانية مختلفة ذات خصوصية شديدة، ظهرت بشكل تلقائي أو موجه. كونتها مقومات طبيعية وانسانية تفاعلت سوياً لتنتج نسيج حضري متداخل على مدار سنين طويلة من التفاعل الإنساني والحضاري.

4-تعد قرية شالي بواحة سيوة نموذجاً لهوية جماعية ذات طابع قبَلي، كوّنت هوية عمرانية تلقائية في مصر.

قـائمة المراجـع

1-أماني محمد (2022) - ذاكرة المدينة.. سيوة «حدوته عمران» - مقال منشور- جريدة المصري اليوم- 2 سبتمبر.

2-حازم إبراهيم (1983) - العوامل المؤثرة على الصورة العامة للمدينة- مجلة عالم البناء-مصر- عدد35.

3-حيدر عبد الرزاق كمونة (2010) - سبل المحافظة على هوية المدينة العربية المعاصرة من ظاهرة العولمة- بحث منشور- جامعة الكوفة - كلية الآداب.

4-زيان أسمن (2003) – الذاكرة الحضارية – ترجمة عبد الحليم عبد الغني رجب – المجلس الاعلى للثقافة – القاهرة.

5- رغد مفيد محمد (1996) - " ثقافة المجتمعات وعمران المناطق ذات القيمة التراثية "- ماجستير-قسم العمارة بكلية الهندسة -جامعة القاهرة.

6- طارق والي (2018) -تعريف الهوية وتأثيرها على العمارة -محاضرة بقسم التصميم الداخلي بكلية الفنون بجامعة اكتوبر للعلوم الحديثة والآداب- 22 نوفمبر .

7-عاهد صبحي حلس (2006) - التواصل بين العمارة والذاكرة الجمعية مدخل لترسيخ ذاكرة المكان عبر تفعيل هوية العمران- دكتوراه- قسم العمارة- كلية الهندسية- جامعة القاهرة.

8-عبد اللطيف واكد وحسن مرعي (1957) - واحات مصر "جزر الرحمة وجنات الصحراء"-الطبعة الأولى- دار الطباعة الحديثة.

9-ميلاد حنا (1999) -الاعمدة السبعة للشخصية المصرية- دار نهضة مصر للطباعة والنشر- الطبعة الخامسة- فبراير.

-10Simon Anhalt (2017) “Why brand? Some practical considerations for nation branding”, Place Branding, Vol. 2, No. 2

11-https://urbandesignlab.in/urban-design-terminology/

12https://egymonuments.gov.eg/ar/archaeological-sites/shali-village-in-siwa-oasis

13https://www.britannica.com/place/Siwa-Oasis

14https://egymonuments.gov.eg/ar/archaeological-sites/shali-village-in-siwa-oasis

15https://al-ain.com/article/technology-electricity-adriere-amilal-hotel-siawa

16https://egyptiangeographic.com/ar/news/show/
17https://www.designboom.com/architecture/adrere-amellal-eco-hotel-in-egypt-by-eqi /
18https://priorworld.com/editorial/siwa-oasis-egypt-adrere-amellal-lodge-prior/

Summary

The research concluded that Egypt enjoys many collective identities with special and distinctive cultural, civilizational and social characteristics. Which appeared as an expression of individual identity awareness, community understanding, and belonging to a great national identity. Which can be classified in: Identity Based Tribalism seen in Upper Egypt, Activity Based Identity seen in Khan al-Khalili area in Cairo, Religion Based Identity observed through special status of Al-Azhar Al-Sharif in consciousness and sentiment of every Egyptian, and Craft Based Identity seen in Tunis village in Fayoum. Additional research in other collective identity classifications in Egypt are still needed.

The diversity of collective identity in Egypt has led to a unique urban specificity. Which had a significant impact on distinct urban identities formation, Whether oriented or spontaneous. The difference in between is the human-environment relationship in each. Where in spontaneous urban environment the relationship between man and environment is direct. On the other hand, in the urban-oriented environment the connection is interrupted as a result of the invasion of many parties, Organization and state policies. So that the research takes Shali village in Siwa oasis as a model of Tribalism based collective identity, that formed a non-oriented (spontaneous) urban identity in Egypt.